# دراسات النوع فى العالم العربى: تأملات وتساؤلات عن تحديات الخطابات والموقع والتاريخ

[1]هدى الصدة

هل هناك تيار فكري نسوي عربي؟ ما هى النسوية العربية؟ وهل أثرت فى محيطها الثقافي والفكري والميداني وهل ترجم تأثيرها في إنتاج الباحثين والباحثات؟ أبدأ بهذه الأسئلة وأعيد صياغتها على الشكل التالى: هل نجحت النسوية العربية فى تشكيل معرفة بديلة تعزز من الوعى النسوى، ومن ثم تثبت أقدام المطالبات النسوية فى المجتمعات العربية؟ هل هناك برامج عربية فى دراسات النوع فى الجامعات العربية؟ هل هناك مادة علمية متخصصة باللغة العربية فى دراسات النوع؟ واذا افترضنا أن اللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل أو لنقل المعلومات، وانما اللغة هى من متطلبات الابداع المعرفى ومن أساسيات توطين العلوم، فما هى حجم المعرفة النسوية المتوفر باللغة العربية؟ ما هى لغة دراسات النوع فى العالم العربى؟ ماذا عن حال الترجمة، ترجمة النظريات النسوية الى العربية لتفعيل التواصل بين النسويات العربيات وغير العربيات، والأهم لدمج المفاهيم النسوية فى اللغة العربية؟

يسود شعور عام بضعف الحركات النسوية فى العالم العربى، ببعدها عن الواقع الثقافي والاجتماعي، أو فشلها فى احداث تغييرات جذرية على المستوى الثقافي والسياسي، كما يسود شعور بتواضع المساهمات الفكرية للباحثات النسويات العربيات بشكل عام، وفى المجال النظرى، أى فى استحداث أو تأصيل لفكر نسوى مؤثر فى الفضاء الثقافى العربى على وجه الخصوص. وانطلاقاً من أحد أهداف هذا اللقاء، أى تقييم حالة النسوية العربية على الصعيد النظري والعملي، سوف أركز حديثي على الصعوبات أو بالأحرى التحديات التى علينا مواجهتها فى سعينا الى ادماج دراسات النوع فى الأجندة البحثية العربية، فمن الدلائل على وجود هذه الصعوبات ندرة برامج مستقرة عن دراسات النوع فى الجامعات العربية، مع ملاحظة التزايد في عدد تلك البرامج في الآونة الأخيرة، ندرة المادة العلمية المتخصصة فى النظرية النسوية باللغة العربية، الجدل حول ترجمة المصطلحات والمفاهيم النسوية، الجندر على سبيل المثال.

لقد شهد العقد الماضى بعض المحاولات لتقييم تجارب انشاء مراكز دراسات المرأة أو النوع فى الجامعات العربية، أذكر منها ندوة نظمها تجمع الباحثات فى يونيو 2004 عنوانها "ادماج منظور الجندر فى سياسات ومناهج الجامعة اللبنانية"[i]، القيت فيها أوراق تلقى بالضوء على برامج النوع والمرأة فى العالم وبالتحديد فى الجامعات مراكز الأبحاث العربية، كما استعرضت دلالات ادماج النوع فى مجموعة تخصصات أكاديمية، مثل الحقوق وعلم الاجتماع وعلم النفس، وانتهت بتقديم مشروع يرسم الخطوط العريضة لعملية دمج منظور النوع فى الجامعة اللبنانية. وعن الصعوبات التى تواجه دمج دراسات النوع فى الجامعات ومراكز الأبحاث العربية، ركزت فائزة بن حديد على علاقة هذه

[1] هدى الصدة، "دراسات النوع ي العالم العربي: تأملات وتساؤلات عن تحديات الخطابات والموقع والتاريخ"، في **النسوية العربية رؤية نقدية**، تحرير جين سعيد مقدسي ورفيف رضا صيداوي ونهى بيومي. تجمع الباحثات العربيات ومركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2012.

الموضوعات بتوصيات المؤتمرات العالمية والأجندة البحثية للجهات المانحة، وندرة التخصص عند الباحثات العرب، وانتهت الى "أن العائق الأهم فى سبيل تنفيذ مشروع إدماج النوع الاجتماعى فى الجامعات العربية يتمثل بغياب القرار السياسى"[ii]. أما فادية حطيط، فذهبت الى أن السبب وراء الرفض الشديد الذى يلقاه مفهوم الجندر فى الدوائر الثقافية العربية يرجع الى "غربته الصوتية عن اللغة العربية" والى "مقاومة البنى الذهنية لعملية إسقاط مفهوم "غربى" فتم التعامل معه باعتباره نوعا من الاستعمار الفكرى"[iii].

أتطرق فى هذه المقالة الى التحديات التى تواجه مشروعات خاصة بدمج دراسات النوع فى الأجندة البحثية العربية، وأتحاور مع مقالة للدكتورة سامية محرز، أستاذة الدراسات العربية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ، عنوانها "ترجمة الجندر"[iv]. ترصد سامية، المعوقات والمشاكل التى أجهضت محاولات عديدة من قبل باحثين وباحثات عرب للاتفاق على ترجمة مفهوم "الجندر" الى اللغة العربية. تستخدم سامية مفهوم الترجمة لتتناول ترجمة المصطلحات، وتستخدمه أيضا بمعنى انتقال الأفكار أو النظريات من ثقافة الى أخرى. تتطرق سامية فى مقالتها الى مقابلة أجرتها معى مجلة ألف[v] اعتبرتها سامية محاولة منى لترجمة أو لتقديم دراسات النوع الى القارئ العربى. حفزتنى هذه المقالة العميقة والثاقبة الى تأمل موازي، يستفيد من طرح سامية، كما يضعه موضع المسائلة .

## 1- تحديات المفهوم: أو البحث عن الكلمة الصحيحة

تسهب سامية فى التعليق على غياب اتفاق بين الباحثات العرب حول ترجمة مصطلح gender ، فكما هو معروف يستخدم البعض "النوع"، أو "النوع الاجتماعى"، أو "الجندر"، أو "الجنس"، ثم تشير الى عدد 1999 من مجلة ألف حيث استحدثت المحررة د. فريال غازول مصطلح "الجنوسة" كترجمة ل gender . تستحسن سامية مصطلح "الجنوسة" ل gender لأنه مستمد من جذر عربى يسمح بتصريفه، ولأنه على وزن أنوثة وذكورة، ولأنه يبرز ديناميكية المفهوم ويبتعد عن تثبيته فى جوهر جامد [vi]، مقارنة مثلا باستخدام "جندر" كمصطلح أجنبى منقول نقلا الى العربية. تتوقف سامية عند ملاحظة أن على الرغم من ورود هذا الاقتراح فى مقدمة عدد خاص عن دراسات النوع، لم يستخدم المشاركون والمشاركات فى العدد هذا المصطلح المقترح، أى "الجنوسة"، وانما استخدموا ترجمات مختلفة. تتسائل سامية:

لماذا اخترنا الصيغة المتمادية فى الجوهرية لترجمة gender فى الوقت الذى نمتلك لغة - ومع اعتبار أن اللغة هى عملية بناء المعنى - نمتلك لغة قادرة الى أبعد درجة على التجديد الخلاق، كما تبين من مثال كلمة "الجنوسة" المستحدثة، والتى صاغتها محررات مجلة ألف، ولكن لم يستخدمها أحد.[vii]

تذهب سامية الى أن عدم الاتفاق على مصطلح الجنوسة كترجمة مبتكرة ل gender يدل على قصور من قبل الباحثات النسويات وعدم قدرتهم على خلق معان جديدة تسمح بادماج دراسات النوع فى الثقافة العربية. ف"الجنوسة"، من وجهة نظرها صياغة مبتكرة تتبع قواعد الصرف العربى كما تعتمد على جذر عربى يسمح بادماج المفهوم فى اللغة ومن ثم فى الثقافة، عوضا عن استخدام مصطلحات، مثل" النوع" أو "الجنس" أو "الجندر" التى فى رأيها "تعزز من الأفكار الداعية الى الانفصال والاختلاف notions of separation and difference.[viii]

فى مقام آخر، فى سياق مشروع ترجمة موسوعة النساء فى الثقافات الاسلامية، تشرح هالة كمال، المسئولة عن مشروع الترجمة من الانجليزية الى العربية، أهمية تثبيت، أو الاتفاق على كلمة واحدة، لترجمة مفاهيم مؤسسة فى النظرية النسوية:
كان من الضرورى توحيد {ترجمة} بعض المصطلحات والكلمات {مثل gender و queer } وفقا للدور الذى تلعبه النسخة العربية لموسوعة النساء فى الثقافات الاسلامية فى انتاج المعرفة وفى صياغة مصطلحات وتعبيرات عربية تغذى هذه المعرفة.[ix]

وبالفعل، قامت المحررة بتثبيت المصطلح فى جميع المقالات المضمنة فى الموسوعة.[x] . فمثل سامية محرز ترى هالة أهمية الاتفاق على لغة معبرة عن مفاهيم جديدة. ولكن، وربما بسبب عدم الاستحسان الذى لا قاه مصطلح الجنوسة، قررت هالة استخدام "الجندر" بشكل ثابت .

المراد من هذا السرد هو ابراز سؤالين:
الأول: هل نعتبر عدم الاتفاق على مصطلح لترجمة مفهوم gender مؤشرا على عجز النسويات العربيات فى ادماج النسوية فى اللغة والثقافة؟ والثانى: هل توجد كلمة صحيحة وجب علينا أن نتوصل اليها ومن ثم نعتبر أن الترجمات الأ خرى ليست صحيحة؟ والاجابة عن هذين السؤالين تنقسم الى قسمين:

**أولا: عن سفر المفاهيم عبر الثقافات**
تحدث ادوارد سعيد عن سفر النظريات وما يتبعه من تغير أو احلال وتبديل للمفهوم عند احتكاكه ببيئة جديدة وتفاعله مع تحديات مختلفة. أشير أيضا الى مقالة لجون سكوت عنوانها" ترددات نسوية"[xi] تقول فيها أن انتقال الصوت من مكان الى آخر يحدث ترددات تشكل بالضرورة صوت جديد أو صوت مختلف، وتستخدم مفهوم الترددات لتقييم مسار النظرية النسوية فى القرن العشرين، وتتصدى للفكرة الشائعة عنها باعتبارها منتج غربى خالص وذلك بتتبع وابراز مساهمة الناقدة جوليا كريستيفا، التى ولدت وتلقت تعليمها فى بلغاريا، وتأثرت بكتابات باختين، ثم أتت الى فرنسا وأصبحت من مؤسسات النظرية النسوية الفرنسية[xii]. فكرة سفر المفاهيم أو النظريات يترتب عليها تحرير الترجمة من سجن لحظة المنشأ، أو تعريف مفهوم ما وفقا لمعناه فى الثقافة المنتجة له، ووفقا لتصور جامد عن هذه الثقافة المنتجة، أى تجاهل تفاعلها واحتكاكها المستمر والمتجدد مع ثقافات أخرى، ثم تجاهل تداعيات المفهوم أوتجلياته بعد سفره الى مكان جديد وتفاعله مع معطيات جديدة وأجندات مختلفة. ومن هذا المنطلق، وحين نتوقف عن البحث عن الكلمة الصحيحة، نصل الى أنه لا توجد ترجمة واحدة صحيحة وترجمات أخرى غير صحيحة، ولكن توجد ترجمات معبرة عن رؤى/مناهج مختلفة فى قواعد التواصل عبر الثقافات، أو مناهج مختلفة فى التفاعل مع الخطابات المحلية والعالمية السائدة. فالترجمة، أى ترجمة، تعبر بالضرورة عن موقع واهتمامات المترجمة.

وبالنظر الى بعض ترجمات gender التى ابتدعتها الباحثات المعرب، فجميع الاختيارات لها أسبابها ونتائجها. فنجد أن "نوع" تحاكى ظهورمفهوم ال gender فى بداياته، ففى الستينات كان مفهوما فى النحو، ولم يكن له أية دلالات نسوية كما هو الحال الآن، استخدمته النسويات فى السبعينات لخلق معان جديدة للتأكيد على فكرة أن التمييز بين الرجل والمرأة لا علاقة له بالطبيعة، أى انه ليس مسألة بيولوجية، وانما مسألة اجتماعية وثقافية. وبالتدريج، اكتسب مفهوم ال gender معان ودلالات مستحدثة، الى أن استقر فى اللغة ودخل القاموس الانجليزى. مفهوم "النوع" بالعربية،

الى الآن لم يكتسب دلالات ال gender الا فى بعض الأوساط الأكاديمية والتنموية، وهى الأوساط التى تستخدم المفهوم فى مجال عملها، واذا استرشدنا بمسيرة ال gender فى اللغة الانجليزية، يمكننا القول أن استقرار دلالاته الجديدة ليس مستبعدا ومرتبط بشيوع استخدامه. فاللغة العربية، جميع اللغات تجدد نفسها حي تكتسب كلمات أو مصطلحات معان جديدة معبرة عن متغيرات مستجدة.
مصطلح النوع الاجتماعى، يعبر عن محاولة للتأكيد على فكرة ان الاختلا فات بين الجنسين متعلقة بالتنشأة الاجتماعية، أى أنه يتضمن شرح للمفهوم والتأكيد على المعنى الذى ارتأته مجموعة كبيرة من النسويات العربيات مفيدا. لن أطيل فى تتبع أو تحليل دلالات ترجمات مختلفة، والهدف هو دحض فكرة وجود ترجمة أفضل أو أصح من أخرى، فتنوع الترجمات هو انعكاس لتنوع المناهج والأجندات البحثية.

**ثانيا: عن سفر المفاهيم عبر الوقت داخل الثقافة الواحدة**
بالاضافة الى سفر المفاهيم عبر الثقافات، فللمفاهيم رحلات أخرى عبر الوقت داخل الثقافة الواحدة. أسرد فيما يلى تفاصيل لقاء ذات دلالة لمشروعات الترجمة بشكل عام.
في يناير 2008، قامت مجموعة المرأة والذاكرة بعقد ورشة عمل عن ترجمة مصطلحات نسوية الى العربية. حضر الورشة باحثات ومترجمات مشتركات فى مشروع لترجمة سلسلة من الكتب التى تحتوى على مقالات متخصصة فى دراسات النوع فى تخصصات أكاديمية مختلفة، مثل النوع والأدب، النوع وعلم الاجتماع، النوع والتحليل النفسى الخ. كان الهدف من الورشة مناقشة المصطلحات والمفاهيم والتنسيق بين كل المشاركات فى العمل بهدف الاتفاق على المصطلحات وتوحيدها بقدر الامكان. تم الاتفاق على معظم المصطلحات ولكن توقفنا نحن المشاركات عند مفهوم gender ولم نتمكن من الوصول الى اتفاق. كانت الخيارات بين/ النوع، النوع الاجتماعى، الجندر ومصطلح جديد صاغته احدى المشاركات، عبير عباس، "الاستجناس". طالت المناقشة ولم نتوصل الى اجماع فاتفقنا على ادراج جميع الترجمات فى القاموس الشارح glossary ورأينا أن كل مترجمة لها حرية اختيار المصطلح الذى تراه. استند منطق القرار، قرار ادراج جميع الصيغ المطروحة، الى تسليمنا بعدم وجود كلمة واحدة صحيحة، وأن اختيار الكلمة، أية كلمة، هو اختيار مرتبط بمنهج المترجمة أو تفسيرها أو استخدامها للمفهوم فى البيئة العربية. ولكن، وبعد تأمل المناقشات الثرية التى درات بين المشاركات، اتضح جانب آخر لم يلقى اهتماما كافيا فى فهم الصعوبات التى تتخلل مشاريع الترجمة، أعنى بالتحديد عملية سفر المفاهيم أو النظريات عبر الوقت وداخل الثقافة الواحدة. فمعنى gender فى السبعينات كما استخدمته الباحثات النسويات يختلف اختلافا كبيرا عن معناه فى التسعينات كما استخدمته جوديث باتلر. فدلالات المفهوم فى السبعينات تركزت على التأكيد على التشكيل الثقافى والاجتماعى للجنسين، ثم جاءت جوديث باتلر لتطور مفهوم النوع وتطرح نظرية أنه عملية أدائية تعتمد فى استمراريتها وانتشارها على التكرار والمحاكاة ولتؤكد على كون "النوع" سيرورة process ليست مرتبطة بالضرورة بالجنس البيولوجى للانسان[xiii]. وعلى هذا الأساس، ارتبطت الترجمات المختارة بمراحل استخدام المفهوم فى النصوص الأصلية، واختلفت بناء على التطور الذى طرأ على المفهوم، ولم تتشكل فقط بموقف المترجمة وأجندتها. هذا بالنسبة لترجمة المفاهيم الخاصة بدراسات النوع والتحديات التى تواجهها.

## 2- تحديات موازين القوة واستراتيجيات المقاومة

تستطرد سامية فى مقالتها وتستخدم مفهوم الترجمة بمعناه الأوسع ليشمل انتقال الأفكار والنظريات عبر الثقافات، وتتطرق الى المعوقات السياسية والثقافية التى تؤدى بشكل مستمر الى سوء فهم مفهوم "الجندر" و"دراسات الجندر" فى الوسط الثقافى العربى، وتناقش مقابلة لى أجرتها مجلة ألف نشرت سنة 1999. نبذة سريعة عن المقابلة والتى كان عنوانها المرأة والذاكرة، بالا شارة الى ملتقى المرأة والذاكرة، تمت المقابلة معى فى سبتمبر 1998 لتنشر فى عدد خاص عن الجنوسة gender والمعرفة (صدر سنة 1999)،. وكما هو المتبع فى هذه المقابلات، قامت المحررة، الدكتورة فريال غزول، بدعوة عدد من الشخصيات لصياغة أسئلة عن نواحى مختلفة من عملى البحثى والميدانى، وطرحها على لأرد عليها كتابة. تضمنت المقابلة موضوعات متفرقة تمس اهتماماتى البحثية، وأنشطة أخرى تصب فى دعم ونشر الأبحاث المتخصصة فى دراسات المرأة/النوع فى العالم العربى وباللغة العربية. عكست الأسئلة والاجابات عليها تعقيدات وملابسات مشروع بحثى مرتبط ارتباطا وثيقا بأجندة ناشطة من المدافعات عن حقوق النساء: ما أهم القضايا من وجهة نظر استعادة تاريخ النساء فى الشرق الأوسط؟ من يحدد أولويات البحث فى دراسات النوع وكيف تصبح معبرة عن الواقع العربي؟ ما أهمية دراسة التاريخ والفن والأدب فى تغيير الواقع الاجتماعى؟ وكيف يمكن لهذا الاتجاه فى البحث التواصل مع جمهور عريض عوضا عن الانغلاق فى دائرة النخبة المثقفة؟ هل يوجد تنسيق بين مراكز الأبحاث والجمعيات العاملة فى مجال حقوق المرأة؟ فى اطار اهتمام ملتقى المرأة والذاكرة باحياء دور المرأة فى التاريخ العربى والمصرى ... كيف يمكن تفادى احياء صورة من صور الماضى الرومانسية التى لا تضيف الى المعرفة سوى جانب أسطورى من هذا التاريخ؟ كما اشتملت المقابلة على أسئلة أكثر تصادمية: "كيف يمكن دراسة مفهوم فرعى مثل gender والمفهوم الأساسى نفسه غير وارد مثل المواطنة...؟ ... هل يمكن اسقاط مفاهيم غريبة من ثقافة على واقع اجتماعى آخر مثل مفهوم gender على المجتمع العربى الذى له مفهومه الخاص وهو وضع المرأة أو قانون الأحوال الشخصية؟ بل أن اللفظ نفسه ليس له ترجمة عربية... كيف تفسرين استعداد الغرب لتمويل كل المشروعات الخاصة بموضوعات " globalization" و "civil society" و"gender" و"governance" وهل هى مفاهيم value-free أم أنها مناهضة لمفاهيم الدولة الوطنية/ السيادة الوطنية، القومية؟[xiv]

تقول سامية أن الاسئلة والأجوبة فى المقابلة "ترسم خريطة جيدة لموقع دراسات النوع داخل السياق المصرى العام، كما تحدد مناطق المقاومة له، والمساحات المليئة بالأفكار الخاطئة التى علي {دراسات النوع} مواجهتها"[xv]. تركزسامية على الاجابات الصدامية فى المقابلة بشكل عام[xvi]، والاجابات على أسئلة حسن حنفى بشكل خاص فتقول:

ان ردود الصدة على أسئلة حسن حنفى على الوجه الخصوص، على الرغم من الاسهاب والتوثيق المدروس، الا أنها تعرى مناطق تقع خارج نطاق الرؤيا blind spots فى الاستراتيجيات الخطابية عند العلمانيين فى مجال دراسات النوع، حيث يبدو وكأنهم محاصرين فيما يشبه منطقة ألغام فى مجال حربي. بل، يمكننا توصيف تعليقات الصدة على أنها هجوم مضاد عوضا عن أطروحات محسوبة واستراتيجية من شأنها دعم الحوار والترجمة.[xvii]

تخلص سامية من هذا التحليل الى أن المشكلة الأساسية فى ترجمة أو تقديم دراسات النوع فى العالم العربى ترجع الى فشل الباحثات النسويات العربيات فى تخطى الانقسامات الأيديولوجية العتيدة فى العالم العربى، خاصة بين الاسلاميين والعلمانيين، ومن ثم فشلهن فى صياغة معان جديدة، أو أطر معرفية مستحدثة.

أسلط الضوء على نقطتين أثارتهم سامية فى تحليلها. النقطة الأولى هى توصيفها الصدام مع حسن حنفى على أنه صداما تقليديا بين العلمانيين والاسلاميين. النقطة الثانية هى اعتبارها أن محاولات فضح خلفية الانحيازات المضمرة فى الأ سئلة استراتيجية خاطئة تحول دون التواصل مع الآخر الرافض كما تعوق امكانية خلق معان جديدة. بالنسبة للنقطة الأ ولى، أجد تحليل سامية دليلا قاطعا على سيادة الفكرالحداثى المبنى على تضاد ثنائى بين العلمانيين والاسلاميين، الحداثة والأصالة الخ. فجميع النقاط الخلافية التى أثارها حنفى كانت معبرة عن الموقف العلمانى، الليبرالى، الوطنى تجاه موضوعات خاصة بالمرأة، فمنطق الأولويات، أو رفض المفاهيم المرتبطة بقضايا المرأة، مع قبول مفاهيم غربية أخرى، هى كلها مواقف مميزة لخطاب وطنى ليبرالى سائد، يستخدمها الخطاب الاسلامى ولكنه لا ينفرد بها {حنفى يحتل موقعا بين خطابين متناحرين يعتبره البعض موقعا ملتبسا}. فالمواجهة مع حنفى كانت مواجهة مع المناطق الملتبسة أو المناطق التى تقع خارج نطاق الرؤية فى الخطاب الليبرالى الوطنى. لم يكن هذا جدلا بين العلمانية والاسلامية.

أما النقطة الثانية، وهى النقطة الأهم، تتعلق بكيفية التعامل مع أو سبل ادراة الحوار/ أو المواجهات مع الخطابات المتسيدة أو السلطوية، وأتسائل: ماذا عن السلطة /القوة؟. تفترض سامية فى تحليلها أن الاشتباك بين الخطاب الليبرالى الوطنى (حسن حنفى) وبين الخطاب النسوى (هدى الصدة) هو مواجهة بين خطابين على نفس القدر من القوة والسيادة. لم تتطرق بتاتا الى حقيقة أن الخطاب النسوى هو خطاب محاصر الى أبعد حد، بل أنها أوحت، فى معرض سردها لمؤهلاتى، الى وجودى فى موقع سلطة ما (يمكننا التحدث عن مواقع محددة تعزز سلطة ما للخطاب النسوى ولكن لا يمكن اعتباره سلطويا أو متسيدا) . لا وجه للمقارنة بين خطاب وطنى سائد يتشكك تاريخيا من النسوية وما يتعلق بها، ومن ثم يستطيع وبدون بذل أى مجهود، التشكيك فى مساعى النسويات، وخطاب نسوى محاصر لأسباب تاريخية وسياسية. فقد تزامنت بدايات المطالبة بمزيد من الحريات والحقوق للمرأة العربية فى أواخر القرن التاسع عشر مع الاحتلال الاستعمارى لبلدان العالم العربى، فكان على المدافعين والمدافعات عن قضايا المرأة مواجهة سيل من التساؤلات حول المشروعية الثقافية لتوجهاتهن، أوعن جدواها على قائمة الأولويات. وبعد مرور أكثر من مائة عام، تظل نفس التساؤلات مطروحة. ويبقى السؤال: كيف نتعامل مع السلطة أو سلطة الخطاب discursive power؟ ثم، كيف تتم عملية خلق معان جديدة وسط بيئة ثقافية وسياسية مليئة بالانحيازات والأفكار المسبقة؟ وما هى استراتيجيات المواجهة؟

**خلاصة: عن مسؤولية الباحثات النسويات فى خلق معان جديدة وحديث الاستراتيجيات.**

مقالة سامية منشورة باللغة الانجليزية والمقابلة معى فى ألف منشورة باللغة العربية. أبدأ بهذه الملاحظة لأسلط الضوء على احدى التحديات التى يواجهها مؤتمرنا: اللغة. فى المؤتمر السابق عن العشرينات اتفقنا على أن اللغة العربية هى اللغة الأساسية" وطلبنا من جميع المشاركات استخدام العربية فى الحديث. هل ترتب على هذا استبعاد مجموعة من المشاركات العربيات و المتخصصات اللا تى لا يتحدثن العربية؟ أم أنه ساهم فى تعزيز الحوار بين جميع المشاركات، ولم يستبعد من لا يتحدثن الانجليزية أو الفرنسية؟ فى هذا المؤتمر قررنا أن اللغة ليست مشكلة، ولكنا طلبنا من المشاركات العرب اللاتى يستخدمن العربية والانجليزية القاء أوراقهن بالعربية. قد تبدو هذه المسألة ثانوية

ولا تشكل عائقا حقيقيا للحوار اذا وجدت الرغبة فى ذلك، ولكنها تبرز معطيات الواقع والسياق الذى نعمل فيه، وهى معطيات اعتدناها، وقد نكون مللنا الحديث عنها بسبب استمرارها، فنحاول تجاهلها أو التقليل من شانها. أتحدث عن واقع وجود لغات متعددة للنسوية العربية، ومن ثم أدوات متعددة، وأيضا دوائر للحوار مختلفة قد لا تلتقى بالضرورة. تعمل هذه الدوائر بشكل منفصل فى كثير من الأحيان، وتتقاطع وتلتقى فى أحيان أخرى. لا توجد قاعدة صارمة تحدد العلاقة بين هذه الدوائر المتقاطعة. ولكن واقع وجودها يشكل تحدى لا يمكن تجاهله. فلأسباب تاريخية وسياسية تقع النسوية العربية فى فضاء بينى يموج بالاضطرابات التى تؤثر بشكل مباشر وغير مباشر على مجريات الأمور، من أسئلة اللغة والهوية واستراتيجيات المواجهة والمقاومة.

بالاضافة الى ذلك، فإن هذا الفضاء البينى يقع بين أقطاب لا تتساوى فى موازين القوة، فهناك قطب يستأثر بسلطة تشكيل وتصدير الخطابات الى الأقطاب الأقل قوة/ سلطة. تقع النسوية العربية فى القطب الأقل قوة فى موازين القوى العالمية، ومن ثم، فهى لا تتمتع بحرية الابداع والحركة. أسترجع هنا مقالة لنانسى هارتسوك عنوانها "المنظور من موقع نسوى: مراجعة" (1998) ، تتحدث فيها عن تجارب المقهورين وعدم تمكنهم من تجاهل الأطر المفروضة عليهم أو العمل خارجها ، وتستشهد بكلمة ألقاها جابرييل جارسيا ماركيز بمناسبة حصوله على جائزة نوبل حين يقول:

> إن مشكلتنا العظمى هي عدم توافر وسائل اعتيادية تجعل لحياتنا طعم الصدق. هذا هو أيها الأصدقاء مكمن شعورنا بالوحدة والعزلة.... إن تأويل واقعنا عبر أنماط ليست ملكنا جعل عدم معرفتنا بأنفسنا إلى ازدياد وحريتنا إلى تضاؤل وشعورنا بالوحدة يتفاقم أكثر فأكثر.[xviii]

ومع اعتبار هذا، فان المعرفة المنتجة على هامش مراكز القوة تكون فى كثير من الأحيان وثيقة الصلة بالواقع الفعلى، ومن ثم تصبح معرفة مرتبطة بالموقع situated knowledge وتستطيع خلق امكانيات جديدة أو نظريات معرفية جديدة تعمل نحو تغيير علاقات القوة السائدة[xix]. والسؤال المطروح على النسويات العربيات هو: كيف يمكن لمعرفة مرتبطة بالموقع مقاومة الأطر السائدة والأفكار المنحازة، وما هى الاستراتيجيات التى من الأجدى اتباعها من أجل التغيير، وفى ظل وجود رؤية واعية فى مواجهة خطابات متسيدة ومنحازة أو متحفزة؟ ان مشروع دمج دراسات النوع فى الأجندة البحثية العربية هو مشروع فكرى ثقافى فى الأساس يتضمن مجموعة من الاستراتيجيات المقاومة، منها تسليط الضوء على أو كشف الانحيازات والتناقضات فى الخطاب السائد، كما يتضمن الاستفادة من تجارب عالمية فى مواجهة الانحيازات، وأخيرا وليس آخرا،انتاج المعرفة النسوية باللغة العربية.

[i] نشرت وقائع الندوة بعنوان الجندر فى التعليم العالى: وقائع ندوة إدماج منظور الجندر فى سياسات ومناهج الجامعة اللبنانية، تحرير فادية حطيط، عزة شرارة بيضون، أنيسة الأمين مرعى وحسن عبود. اليونسكو، تجمع الباحثات اللبنانيات والجامعة اللبنانية، بيروت، 2005.

[ii] فائزة بن حديد،"إدماج النوع الاجتماعى فى الجامعات العربية" فى المرجع السابق، ص 31.

[iii] فادية حطيط، "الدراسات النسائية والنوع الاجتماعى فى الجامعات اللبنانية" فى المرجع السابق، ص 34.

[iv] Samia Mehrez, "Translating Gender", Journal of Middle East Women's Studies, Vol. 3, No. 1 (Winter 2007), pp. 106-127.

[v] هدى الصدة، "المرأة والذاكرة، مقابلة" فى ألف: الجنوسة والمعرفة: صياغة المعارف بين التأنيث والتذكير، العدد التاسع عشر، 1999، ص 210-230.

[vi] محرز، المرجع السابق، ص 111.

[vii] محرز، المرجع السابق، ص 112.

[viii] محرز، المرجع السابق، ص 112.[1] **Joan Wallach Scott,** "*Feminist Reverberations," differences: A Journal of Feminist Cultural Studies*, Volume 13, Number 3, Fall 2002, pp. 1-23

[ix] Hala Kamal, "Translating Women and Gender: The Experience of Translating the Encyclopedia of Women and Islamic Cultures into Arabic," in *Women's Studies Quarterly*, 36: 3&4 (Fall and Winter 2008), pp.254-268, p.259.

[x] الجدير بالذكر أن هالة استخدمت مصطلح الجنوسة لترجمة gender فى ترجمتها لكتاب ليلى أحمد: المرأة والجنوسة، ترجمة هالة كمال ومنى ابراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، 1999.

[xi]

[xii] Scott, Ibid., pp.14-15

[xiii] Judith Butler, *Gender Trouble: Feminism and the Subversion of Identity* (1990). 2nd edition. London and New York, Routledge, 1999.

[xiv] أنظر هدى الصدة، المرجع السابق.

[xv] محرز، المرجع السابق، ص 118.

[xvi] أورد هنا ثلاثة أمثلة من الأجوبة. فردا على مقولة أن النوع مفهوم فرعى أقول:

كلمة "فرعى" تستدعى منطق الأولويات، وهو منطق عادة ما يوظف فى تكريس مصالح فئة معينة تسعى الى فرض اهتماماتها على مجتمع بأسره لتقنع جميع أفراد هذا المجتمع أن أولوياتها هى أولويات المجتمع... مفهوم "الفرعى" أيضا يفترض أن المطالبة بحقوق النساء هى حركة ضد الرجال أو ضد مصلحة الرجال..." (هدى الصدة، 216)

وردا على مقولة أن مفهوم ال gender خرج من واقع غربى وأن اللفظ ليس له ترجمة عربية، قلت:

"أما لماذا خرج هذا المفهوم من واقع غربى، علينا أن نسأل أيضا لماذا تخرج المصطلحات والنظريات من الغرب فى القرن العشرين ولا تخرج من العالم العربى؟ ألا أننا لا نجد غضاضة فى استيعاب واستخدام مصطلحات مثل الديموقراطية/ والمواطنة، وهى مصطلحات لم تصغ ولم تخرج من واقع البحث العربى. لماذا نترجم أو نعرب مصطلحات كثيرة جدا ومألفها وعتادها وندافع عنها ونتبناها، ولكن نتعثر دائما فى الترجمة والألفة عندما يمس الموضوع المرأة؟ فإذا قلنا "نوع"، نرفض أن نفهمه وإذا قلنا جندر نمتعض لأنه ليس له جذر عربى (الديموقراطية لا يوجد لها جذر عربى)." (المرجع السابق، 218-219)

وردا على استعداد الغرب لتمويل مشروعات عن ال gender و civil society الخ:

" لا يمكن حصر موضوع التمويل فى الأموال التى تأتى من الغرب ونتجاهل مصادر الأموال الآتية من جهات ودول كثيرة عربية كانت أو آسيوية... لست بالسذاجة التى تجعلنى أتجاهل أو أنفى المشاكل والتحديات التى تصحب وجود أموال لها أصحابها ولها أهدافها، لكنى، وبعيدا تماما عن هذا السؤال بالتحديد، أتشكك وأتساءل عن نوايا وأهداف من يستخدم قضية التمويل كسلاح سياسى." (المرجع السابق، 224)

[xvii] محرز، المرجع السابق ص 122.

[xviii] نانسى هارتسوك، "المنظور من موقع نسوى: مراجعة"" ترجمة عبير عباس، فى النسوية والتاريخ، تحرير وتقديم هدى الصدة وعبير عباس، القاهرة، المرأة والذاكرة، 2010.

[xix] هارتسوك، المرجع السابق.